على التذكير باسم فلسطين. وجاء وقت توزّع فيه الفلسطينيون، داخل وخارج فلسطين المحتلة، على جميع المنظمات السياسية، مع اختلاف برامجها ومواقفها، في محاولة مستمرة للتذكير بفلسطين، وبمصيرها.

وعلى طول مجرى استعادة الوطن داخل وخارج فلسطين المحتلة، كان الشعب الفلسطيني يبتكر وسائله، ويغرف من تراثه وتاريخه، ويعمل من اجل بناء مؤسساته المستقلة، حتى بلور مسار الثورة الفلسطينية شعار الاستقلال أسلوب نضال، وهدفاً للتحرير، وهوية للوطن والشعب.

هذه الثوابت الثلاثة لم تتبدل، مع التأكيد انها تتخذ اشكالاً مختلفة في المراحل المتتالية، ولكنها لا تتغير مهما اتخذت من اسماء، ومهما كان من يعبّر عنها، ومهما عبّرت هي عن نفسها، في هذه المرحلة، أو تلك، أو هذا المكان، أو الآخر، من فلسطين، أو خارجها.

وكما سبق الذكر عند توصيف العدو الصهيوني، فان هذا العدو يحمل، في جوهره، صفات نقيضة لفلسطين وشعبها، وان الصراع بينهما هو صراع مستمر الى أن تتجسّد الحقيقة الفلسطينية على أرضها مرة أخرى، مهما طال الزمن، ومهما اختلفت أشكال الصراع وأساليبه، والتي تتغير بالتأكيد متأثرة بالعوامل الداخلية لطرفي الصراع المباشرين، وكذلك بالعوامل الاقليمية المحيطة بفلسطين، وبالظروف الدولية المتحكّمة. ويطول الطريق، أو يقصر، بقدر ما يستطيع الطرف الفلسطيني أن يدفع الكيان الصهيوني الى مأزقه التاريخي، وان يجمع القوى والعوامل التي تزيد في قوّته وتضعف قوة عدوّه. وطالما التصق العمل الفلسطيني بواقعه، ارضاً وجماهير، فسيظل يمتلك المبادرة والهجوم، وسيظل جوهر هذا الفعل الفلسطيني هو مواصلة الصراع ضد مغتصبي الوطن، الصهيونيين.

ولقد بيّنت السنوات الماضية، كلها، حتى قبل الانطلاقة الفلسطينية منذ أكثر من ربع قرن، أن الشعب الفلسطيني ظل متمسّكاً بمبادرة الهجوم، وبمواصلة القتال، على الرغم من كل العقبات التي واجهها، وكل التعرجات التي كان عليه ان يمرّ فيها، ولكنه صمّم، ويصمّم، على الوصول الى هدفه، مراكماً الانجازات والخبرة، ومتمسكاً، دوماً، بالمبادرة، وبابقاء خياراته مفتوحة للوصول الى الوطن، دون التجمّد عند صيغة محدّدة، أو أسلوب دون آخر، ودون الوقوع في حبائل المواجهات الجانبية، أو الاغراءات السياسية، أو المادية، واولاً وأخيراً دون الخوف من العدو، ودون الاستسلام واليأس.

وليس ذلك بالأمر السهل على اي حال، خاصة وان الساحة حول فلسطين، وفيها، وفي العالم، مليئة بالقوالب الايديولوجية، وبالمصالح والسياسات التي قد تتقاطع مع فلسطين، ولكنها لا تتطابق معها، ولا يمكن أن ترى القضية بنظر أبنائها، انها على اي حال لا تنطلق من منطلق فلسطيني مرتبط بتراب الوطن، ناهيكم عن المصالح الدولية المتشابكة والمتغيّرة التي ليس من السهل تغيير ما سبق لها ان قررته ورسمته للمنطقة، ولا يمكن أن تفعل ذلك الّا اذا تغيّر وضع الاطراف المعنيّة فيها مباشرة، وعلى الأرض فعلاً.

انتصار الهوية الفلسطينية

الأرض والشعب يشكّلان الجغرافيا والتاريخ. وكل التغيّرات التي تؤثر في علاقتهما هي التي يتمّ التعبير عنها بما يمكن أن تشمله كلمة الهوية الوطنية والحضارية لهذين الثابتين.

ولقد بدأت الثورة الفلسطينية، في مرحلتها المعاصرة، وهي تحمل الكثير من بصمات محيطها الحضاري، عربياً ودولياً، وحاولت، وأفلحت، في ان تجد مكاناً لها (أي للشعب والوطن) في المعادلات الفكرية، والسياسية، والعملية، في العالم المعاصر، وفي المنطقة. وقد استطاعت الثورة الفلسطينية،